الدعوة والتحديات المعاصرة

إعـــــداد
د. محمد بن عبد العزيز بن عبد الفتاح أمان
(الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز)

الملخص

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد...

فهذا البحث بعنوان (الدعوة والتحديات المعاصرة) يتحدث هذا البحث عن الجانب التعريفي للدعوة والتحديات المعاصرة لها، وأول هذه التحديات، وعوامل نصر الدعاة، والتمكين للأمة، ومظاهر ضعف الدعاة أمام تلك التحديات، وأهمية العقيدة لمواجهة هذه التحديات، وأنواع الصد عن سبيل الله وعلاقتها بالتحدي للدعوة إلى الله، ومظاهر الغزو الفكري ومخاطره على الأمة والدعوة ، ومقالة بعض زعماء اليهود وتحدياتهم للدعوة، وقضايا وأغراض الغزو الفكري، ثم بينت حملات التشويه، والاتهامات للنظم الإسلامية، والدعوة إلى التحلل والإباحية، وإبعاد العلماء عن مراكز التوجيه والسلطة، والتعليم والثقافة ودور الغزو الفكري للتأثير عيها، والنيل منها، ثم ذكرت مسائل التحدي التي تواجها الدعوة في عصرنا الحاضر من الإلحاد، والشهوات، والخلاف، والإساءة للدين، واتهام المتدينين بالتخلف، والمؤامرة على المرأة المسلمة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

المقدمــــة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومـن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله[1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[2]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[3]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[4].

أمـــا بعـــد...

إن الناظر في واقع المسلمين اليوم لن يخطئ في رؤية الكثير من التحديات التي تواجهها الأمة المسلمة قاطبة، وما تواجهها الدعوة خاصة في مطلع القرن الواحـد والعشرين، وما يتربص بهما من التحديات من أعدائهما من الداخل والخارج.

فأعداء الأمة والدعوة من الداخل من دعاة التغريـب، ومـن العلمـانيين، والحداثيين وغيرهم، ممن يريدون إسلاماً مميعاً على حسب أهـوائهم ورغبـاهم، و شهواهم، فقائل يقول: الدين في المسجد فقط، وقائل: صلي مع المصلين، وافسق

---

(١) أخرجه النسائي أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، الطبعـة الأولى ١٤٠٦هـ، بيروت، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، (باب ما يستحب من الكلام عند الحاجة): ١٢٧/٦، برقم ١٠٣٢٦.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

(٣) سورة النساء: آية ١.

(٤) سورة الأحزاب: آية ٧٠-٧١.

مع الفاسقين، وهكذا من مقالتهم التي تفصل بين الدين والـدنيا، والحجـر علـى الدين، والتضييق عليه.

أما السفهاء والجهال والعوام ممن ينقمون على الأمة والـدعوة، ويتحـدون بسفاهتهم وجهلهم وعاميتهم الأمة والدعوة فهم يريدون تطويع الدين وأحكامـه على حسب أفهامهم وأفكارهم وجهلهم.

أما أهل الفرق الضالة، والمناهج المحدثة المبتدعة، فيمثلون تحدياً كـبيراً مـن خلال الصد عن سبيل الله، وذلك بنشر ضلالهم وانحرافهم وزيغهم، وبيان ذلـك على أنه هو الحق المبين والدين القويم والصراط المستقيم، واهام المنهج الحق الـذي عليه أهل السنة والجماعة بأنه تشدد وتنطع، وغير ذلك مـن عبـارات التحقير والتنفير.

أما أعداؤنا من الخارج إن كانوا غربيين يريدون إسلاماً على الطريقة الغربية، وإن كانوا غير ذلك يريدون إسلاماً يتناسب معهم، ويتمشى مع مـصالحهم، وإلا أصبح ذلك الإسلام إرهاباً، ويدعو إليه، وهم بذلك يريدون منا التخلي عن ثوابتنا، والركون إليهم في كل ما يأمروننا به، ويدعوننا إليه، وأن نتولاهم، ونسير معهـم جنباً إلى جنب حتى لا نتهم، ولا ننبذ، وقد قال قائلهم ممن أذاق المسلمين هماً من الهون والذل والعذاب ما لا يخفى على عاقل، وخرب ودمر البلاد، وأزهق الأنفس، وشرد العباد، وأعان أهل الفساد مقالته المشهورة: إما أن تكون معنا، وإلا تكـون ضدنا!، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٢٠.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(١)، فنسأل الله أن يهدي ضال المسلمين، ويؤلف بين قلوب المؤمنين، إن ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ولقد قسمت البحث إلى مقدمة و ثلاثة مطالب، وخاتمة.

المطلب الأول: تعريف الدعوة وأول التحديات، وعوامل النصر والتمكين.

المطلب الثاني: الغزو الفكري، ومظاهره، وأغراضه.

المطلب الثالث: بعض مخططات الغزو الفكري، ومسائل متعلقة بالدعوة والتحديات المعاصرة.

(٢) سورة المائدة، آية: ٥١.

المطلب الأول

تعريف الدعوة وأول التحديات، وعوامل النصر والتمكين

أولاً: تعريف الدعوة:

والدعوة لغةً هي: الدَّعْوَةُ إلى الطعام بالفتح يقال كنا في دعوة فلان ومَدْعاة فلان وهو مصدر والمراد بهما الدعاء إلى الطعام والدِّعْوَةُ بالكسر في النسب والدَّعْوَى أيضا هذا أكثر كلام العرب يفتحون الدال في النسب ويكسرونها في الطعام والدَّعِيُّ من تبنيته ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ﴾(١).

وادَّعى عليه كذا والاسم الدَّعْوَى وتَداعَت الحيطانُ للخراب تهادمت ودَعَاةُ صاح به واستَدْعاهُ أيضا ودَعَوْتُ الله له وعليه أدعوه دُعَاءً والدَّعْوَةُ المرة الواحدة والدُّعَاءُ أيضا واحد الأَدْعِيةُ وتقول للمرأة أنت تدعين وتدعوين وتدعين بإشمام العين الضمة وللجماعة أنتن تدعون مثل الرجال سواء ودَاعيةُ اللبن ما يترك في الضرع ليدعو ما بعده وفي الحديث [دع داعي اللبن](٢).

دعا وفيه ما بالُ دَعْوَى الجاهلية هو قولهم يالَ فُلان كانوا يَدعون بعضهم بعضاً عند الأمر الحادث الشديد.

ومنه حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: كنا في غزاة فكسع(٣) رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار! وقال

(١) سورة الأحزاب : آية ٤ .

(٢) مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ت ٧٢١هـ، مكتبة لبنان، بيروت ، طبعة ١٩٨٨م : ص٨٦ .

(٣) كسع: من الكَسْع وهو ضَرْب الدُّبُر ، وفي حديث الحُدَيْبِيَة وعَليٌّ يَكْسَعُها بقائم السَّيف أي يَضْرِبُها من أسْفَل ، ومنه حديث زيد بن أرقم أنَّ رجُلا كَسَع رجُلا من الأنصار أي ضَرَب دُبُرَه بيَده ، ومنه حديث طلحة يوم أُحُد فَضَربتُ عُرْقُوبَ فرسه فاكْتَسَعَتْ به أي سَقَطت من ناحية مُؤَخَّرها ورَمَت به ، النهاية في غريب الحديث لابن سلام : ١٧٣/٤ .

المهاجري: يا للمهاجرين! فسمعها الرسول الله ﷺ فقال: " ما هذا فقالوا كسع رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال الأنصاري يا للأنصار! وقال المهاجري يا للمهاجرين! فقال النبي ﷺ: " دعوها فإنها منتنة " قال جابر رضي الله تعالى عنهما: وكانت الأنصار حين قدم النبي ﷺ أكثر، ثم كثر المهاجرون بعد فقال: عبد الله بن أبي أو قد فعلوا والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فقال عمر بن الخطاب ﵁: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق قال النبي ﷺ: " دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه"(١)، ومنه الحديث " تداعت عليكم الأمم"(٢)، أي: اجتمعوا ودَعا بعضُهم بعضاً، ومنه حديث ثوبان ﵁، عن النبي ﷺ " يُوشكُ أن تَدَاعي عليكم الأممُ كما تَداعى الأَكَلَةُ على قَصْعَتِها "(٣)، ومنه الحديث " كَمَثَل الجسَد، إذا اشتكى بعضُه تَداعى سائرُه بالسَّهر والحُمَّى "(٤)، كأنَّ بعضَه دَعا بعضًا، ومنه قولهم تداعت الحيطانُ أي: تَساقطَتْ، أو كادت(٥)، ودعوت الله أدعوه دعاء: ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير، ودعوت زيداً

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري (باب قوله تعالى: { لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل* ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين...الآية}): ١٨٦٣/٤، برقم ٤٦٢٤.

(٢) أخرجه أحمد وأبو داود بسند صحيح، صححه الألباني واللفظ لأحمد: ٣٥٩/٢، برقم ٨٦٩٨.

(٣) الحديث أخرجه أبو داود، سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الآزدي، دار الفكر، بيروت، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، وصححه الألباني: (باب: في تداعي الأمم على الإسلام) : ١١١/٤، برقم ٤٢٩٧.

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، ت ٢٥٦هـ، مطبعة دار بن كثير، اليمامة، مراجعة د: مصطفى ديب البغا، سنة١٤٠٧هـ (باب: رحمة الناس والبهائم): ٢٢٣٨/٥ ، برقم ٥٦٦٥.

(٥) النهاية في غريب الأثر لأبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير الجزري رحمة الله عليه، ت:٦٠٦هـ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناخ، ١٣٩٩هـ، دار الفكر – بيروت : ١٢٠/٢.

ناديته وطلبت إقباله ودعا المؤذن الناس إلى الصلاة فهو داعي الله والجمع دعاة وداعون، والنبي ﷺ داعي الخلق إلى التوحيد (١) والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلال، واحدهم داعٍ، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أودين، أدخلت الهاء للمبالغة، والنبي ﷺ داعي الله تعالى، وكذلك المؤذن، وفي التهذيب: المؤذن داعي الله والنبي ﷺ داعي الأمة إلى توحيد الله وطاعته (٢)، ويتضح مما سيق ذكره أن الدعوة تدور بمحاور ثلاثة حول الطلب والسؤال والنداء.

إذاً الدعوة هي: الطلب والنداء لشيء ما، سواء كان هذا الشيء حقاً، أو باطلا، والدعوة إلى الله تعالى هي: النداء إلى داعي الله تعالى وتوحيده.

والدعوة اصطلاحاً هي: الدعوة إلى الله عرفها بعضهم بقوله إنها حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل(٣).

وعرفها البعض بأنها حركة إحياء للنظام الإلهي الذي أنزله الله عز وجل على نبيه الخاتم(٤).

وقال آخر الدعوة هي الدين الذي ارتضاه الله للعالمين وأنزل تعاليمه وحياً على رسول الله ﷺ وحفظها في القرآن الكريم وبينها في السنة النبوية(٥).

---

(١) المصباح المنير، (مادة دعا) لأحمد بن محمد الفيومي، ط:١، ١٤١٤هـ-١٤٩٤م، دار الكتب العلمية – بيروت: ص١٩٤.

(٢) لسان العرب لابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري المتوفى سنة ٧١١هـ، دار الصادر، بيروت، ط:١، (بدون): ٢٥٨/١٤-٢٥٩.

(٣) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، للشيخ علي محفوظ، ط:١، ١٣٩٩هـ، دار الاعتصام، مصر: ص١٧.

(٤) الدعوة الإسلامية في عهدها المكي للدكتور رؤف شلبي: ص٣٢.

(٥) الدعوة الإسلامية لأحمد غلوش: ص١٠-١٣.

وقال البعض: الدعوة هي دين الله الذي بعث به الأنبياء جميعاً عليهم السلام تجدد على يد محمد ﷺ خاتم النبيين كاملاً وافياً لصلاح الدنيا والآخرة(١).

والتعريف المختار للدعوة هو: كما عرفها شيخ الإسلام رحمه الله تعالى بقوله: الدعوة إلى الله تعالى هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا(٢).

وقال: وقد تبين بذلك أن الدعوة نفسها أمرٌ بالمعروف ونهيٌ عن المنكر، فإن الداعي طالب مستدع مقتض لما دعي إليه وذلك هو الأمر، إذ الأمر هو: طلب الفعل المأمور به، واستدعاء له ودعاء إليه، فالدعاء إلى الله دعاء إلى سبيله فهو أمرٌ بسبيله، وسبيله هو تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر(٣).

وجاء اختيار هذا التعريف لعدة أسباب منها:

١- أن الشيخ لم يقيد التعريف الضابط المنطقي أو الحد الاصطلاحي كما فعل غيره من المتأخرين وهذا هو الصحيح حيث إنه بين الموضوع والمنهج.

٢- أنه بين مفهوم الدعوة كحركة بناء ونشر، وبين أن الدعوة نظام شامل متضمن الإيمان والتصديق.

٣- أنه جمع بين الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية للشيخ محمد الراوي، الرياض، مكتبة العبيكان، ط:١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م: ص ٣٩.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي الحنبلي أبو العباس تقي الدين بن تيمية رحمه الله، ٦٦١ ، ت: ٧٢٨هـ ، بدون تاريخ: ١٥٧/١٥.

(٣) نفس المصدر: ١٥/١٦٦-١٦٧.

ثانياً: أول هذه التحديات:

هو ضعف وتأخر الأمة التي قادت ركب الحضارة الإنسانية ثمانية قرون أصبحت اليوم في ذيل القائمة في سلم الحضارة والعلم.

يستغل البعض هذا الواقع المرير للربط بين حال المسلمين ودينهم، متناسين أنه ليس من العدل والإنصاف في شيء الحكم على دين بواقع أهله في برهة من الزمان، فالإسلام دين العلم والحضارة، وحين تمسك المسلمون بدينهم كانوا أكثر الأمم عطاء في ركب الحضارة وأعظمها علماً وإبداعاً، لكنهم حين بعدوا عن دينهم واستبدلوه أو خلطوه ولوثوه بالغث الوافد عليهم من هنا وهناك، فتخلوا عن مصدر عزهم، وتنكبوا طرق الغواية والضلالة، ونكصوا على أعقابهم، وابتعدوا عن طريق هدايتهم، ولولوا ظهورهم للنعمة التي منحهم الله لهم بالعلم والمعرفة.

فالقرآن الكريم منذ أن نزلت أول آياته في قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾(١) ما فتئ يدعو المسلمين إلى التعلم، ويثني على العلماء ويمتدح صنيع العقلاء كما أخبر تبارك وتعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾(٣).

لقد كرم الإسلام العلم، وأعطى لأهله من الفضل والمنزلة بوناً شاسعاً وفارقاً متميزاً على سائر الناس، بما فيهم العُبّاد الذين نذروا أنفسهم لعبادة الله تعالى، كما

---

(١) سورة العلق، آية: ١.

(٢) سورة المجادلة، آية: ١١.

(٣) سورة الزمر، آية: ٩.

جاء الحديث بذلك، يقول ﷺ: " فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير"(١).

وحين تمسك المسلمون بدينهم، والتزموا بشرعته، واستقاموا على طريقتهم سبقوا أمم الدنيا، وحملوا مشعل العلم ولواء الحضارة، وأبدعوا وأوجدوا حضارة فريدة لا ند ولا مثيل لها، يكفينا عن العرض المسهب لإنجازاتها أن ننقل بعض اعتراف العلماء المنصفين بسبقنا وإبداعنا، فقد سجلت كلماتهم بالإعجاب بعضاً من مآثر حضارتنا، وكانوا شهود عدل على مآثرنا.

ومن ذلك قول الدكتور ستانلي لين بول في كتابه "تاريخ العالم": "لم يحدث في تاريخ المدنية حركة أكثر روعة من ذلك الشغف الفجائي بالثقافة الذي حدث في جميع أنحاء العالم الإسلامي، فكان كل مسلم، من الخليفة إلى الصانع، يبدو كأنما قد اعتراه فجأة شوق إلى العلم وظمأ إلى السفر، وكان ذلك خير ما قدّمه الإسلام من جميع الجهات"(٢).

ويضيف المؤرخ جوليفيه كستلو في كتابه " قانون التاريخ " بأن " التقدم العربي بعد وفاة الرسول ﷺ. كان عظيماً، جرى على أسرع ما يكون، وكان الزمان مستعداً لانتشار الإسلام، فنشأت المدنية الإسلامية نشأة باهرة، قامت في كل مكان مع الفتوحات بذكاء غريب ظهر أثره في الفنون والآداب والشعر والعلوم. وقبض العرب بأيديهم خلال عدة قرون على مشعل النور العقلي، وتمثلوا

---

(١) أخرجه الترمذي، لأبي عيسى بن سورة ، ت٢٧٩ هـ، تحقيق أحمد بن محمد شاكر، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ ، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر (برقم :٢٦٨٥).

(٢) قالوا عن الإسلام، للدكتور، لعماد الدين خليل، بدون: (ص:٣٩٦).

جميع المعارف البشرية .. فأصبحوا سادة الفكر، مبدعين ومخترعين، ولا بالمعنى المعروف، بل بما أحرزوه من أساليب العلم التي استخدموها بقريحة وقادة للغاية، وكانت المدنية العربية قصيرة العمر، إلا أنها باهرة الأثر، وليس لنا إلا إبداء الأسف على اضمحلالها"(١)، وإذا كان حال المسلمين فيما مضى كذلك، فكيف توارت الأمة المسلمة عن الشهود ولم تقبع في ذيل الركب اليوم!.

إن ما نشاهده اليوم من ضعف حضاري للأمة المسلمة يرتبط بعاملين اثنين: أولهما هو بُعدُ المسلمين عن دينهم، فلئن كان تقدم أوربا مرهوناً بتخلصها من دينها المبدَّل؛ فإن نهضتنا لن تكون إلا بعودتنا إلى ديننا، فالمفارقة بين حالنا وحالهم، تنبع من الاختلاف بين خصائص أدياننا، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٣)، وهذا ما يدل على أحقية ديننا وأتباعه قال ربنا في كتابه الكريم: ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾(٤)، وقال جل وعلا: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾(٥).

وهاتان الآيتان كانتا لهما مناسبة ففي الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود

---

(٣) المصدر نفسه.

(١) سورة آل عمران، آية: ١٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٨٥.

(٣) سورة سبأ، آية: ٤٩.

(٤) سورة الإسراء: ٨١.

في يده ويقرأ قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾، ويقرأ قوله جل وعلا: ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾، وقال البخاري رحمه الله : يزهق: يهلك (١)-(٢).

وكان لهذا الضعف أثر واضح على نزاع وتمزق وتشرذم الأمة، ومن ثم ذهاب ريحها كما بين الله ذلك في كتابه العزيز: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾(٣).

ولكي ترجع الأمة لعزها ونصرها وتمكينها لابد لها من العودة للأسباب والعوامل الطبيعية لحصول ذلك.

ثانياً: من عوامل نصر الدعاة والتمكين لهذه الأمة.

العامل الأول: وهو (التعاون على الحق):

ففي حديث خديجة رضي الله عنها لما رجع إليها رسول الله ﷺ من الغار يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني، زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال ﷺ لخديجة رضي الله عنها، وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن عم خديجة، وكان امرأً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة يا بن عم اسمع من بن أخيك، فقال له ورقة يا بن أخي ماذا ترى، فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما

(٥) أخرجه البخاري: ١٧٤٩/٤.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) سورة الأنفال، آية:٤٦.

رأى، فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ أو مخرجي هم، قال نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي"(١).

وهذا دليل على بقاء وثبات ديننا بثبات مصادره التي عهد الله بحفظها وصيانتها من التبديل والتغيير والتحريف، وبيان تميزه وظهوره على غيره من الأديان، وظهور وتميز الدعاة والمصلحين، ومن ثم تميز وظهور أهله تبعاً لهم، فالحق أبلج، والباطل لجلج.

لكن الواقع اليوم أن غير المسلمين أخذوا ما في ديننا وطبقوه في حياتهم، فتميزوا وتقدموا علينا، وتخلفنا لأننا تركنا سبب ذلك كله.

والعامل الثاني الذي أسهم في تردي أحوال الأمة المسلمة هو الاستعمار الغربي الذي غزا الشرق الإسلامي عقوداً ودهوراً وأعواماً مديدة من السنين والأيام التي مزقت شمل الأمة، وفرقت جمعها، وأضعفت وأنهكت قوتها، ولم يبرحها إلا وقد ترك فيها من العقد المستعصية ما تعجز عن حلها الأجيال، ويستحال عودتها على ما كانت عليه لما ترك فيها من أذناب وعملاء يمثلونه ويؤدون دوره على خير مثال، فأصبحت الأمة الإسلامية أسيرة تحت وطأة الاستعمار ليضمن بذلك استمرار تفوقه وتميزه عليها، وروج سلعه في الشعوب التي جعلها أسواقاً استهلاكيةً لبضائعه، فارتهن مقدراتها ليضمن تفوقه ودوام سيطرته وسيادته عليها.

وأما المظهر الثاني من المظاهر التي تزري بواقع المسلمين عامة، والدعاة خاصة، هو(اختلافهم والتفرق)، بل واشتعال الحرب بين طوائفهم، وتراميهم بالتكفير، والتبديع والتفسيق، وغير ذلك من إلصاق التهم ببعضهم البعض، وهم في ذلك

(١) أخرجه البخاري: ٤/١.

أيضاً قد خالفوا أمر ربهم جل وعلا، وعصوا سنة نبيهم محمد ﷺ، وفي الكتاب والسنة ما يدعوا إلى الوحدة والاعتصام كما قال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(١).

فقد خالفوه وهو يدعوهم إلى التوحد في أمة واحدة كما بين ﷺ: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾(٣).

وقال سبحانه: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٤).

وقد بين النبي ﷺ في الحديث ما يدل على الوحدة، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبره أن رسول الله ﷺ قال: "المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة"(٥).

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ٥٢.

(٣) سورة الأنبياء آية:٩٢.

(٤) سورة الأنفال، آية : ٦٣.

وحث ﷺ على الرحمة بين المؤمنين في توادهم، وتعاطفهم، فعن النعمان بن بشير -رضي الله عنه- عنه يقول: قال رسول الله -ﷺ-: "ترى المؤمنين في تراحمهم، وتوادهم، وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى"(١)(٢).

وفي الرواية الأخرى عند مسلم رحمه الله عن النعمان بن بشير -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"(٣).

وفي شرح الحديث للنووي رحمه الله على صحيح مسلم بقوله، باب تراحم المؤمنين، وتعاطفهم، وتعاضدهم، المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً، مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم إلى آخره هذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على التراحم، والملاطفة والتعاضد في غير إثم، ولا مكروه وفيه جواز التشبيه، وضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأفهام قوله ﷺ تداعى لها سائر الجسد أي: دعا بعضه بعضا إلى المشاركة في ذلك ومنه قوله تداعت الحيطان أي تساقطت أو قربت من التساقط(٤).

وقال ﷺ محذراً من التحاسد، والتناجش، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ: "أن يبيع حاضر لباد، ولا تناجشوا، ولا يبيع الرجل على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه، ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما في إنائها"(٥).

(١) أخرجه البخاري: ٢/ ٨٦٢.

(٢) المصدر نفسه: ٥/ ٢٢٣٨.

(٣) أخرجه مسلم: لأبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري ، ت ٢٦١هـ ، مراجعة محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، طبعة ١٣٧٤هـ : ٤/ ١٩٩٩.

(٤) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم: ليحيى بن شرف النووي، ت ٦٧٦هـ، الطبعة:٣، ١٣٩٢هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان: ١٦/ ١٣٩-١٤٠.

(٥) أخرجه البخاري: ٢/ ٧٥٢.

وفي رواية عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تناجشوا، وكونوا عباد الله إخوانا "(١).

وفي رواية مسلم رحمه الله عن أبي هريرة ؓ، قال، قال رسول الله ﷺ: " لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذلـه، ولا يحقره، التقوى ها هنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه "(٢).

قال النووي رحمه الله تعالى في شرح الحديث تهاجروا وهما بمعنى والمراد النهي عن الهجرة ومقاطعة الكلام، وقيل يجوز أن يكون لا تهجروا أي: تتكلموا بالهجر بضم الهاء، وهو الكلام القبيح، وأما النهي عن البيع على بيع أخيه، والنجش فسبق بيانهما في كتاب البيوع، وقال القاضي يحتمل أن المراد بالتناجش هنا، ذم بعضهم بعضاً، والصحيح أنه التناجش المذكور في البيع، وهو أن يزيد في السلعة، ولا رغبة له في شرائها بل ليغر غيره في شرائها، وأما لا يخذله فقال العلماء الخذل، ترك الإعانة والنصر، ومعناه إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه لزمه إعانته إذا أمكنه، ولم يكن له عذر شرعي ولا يحقره هو بالقاف والحاء المهملة أي لا يحتقره، فلا ينكر عليه ولا يستصغره(٣).

وحذرهم الله في كتابه الكريم من الفرقة بقوله جل وعلا: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٤).

(١) أخرجه مسلم: ٤/١٩٨٥.
(٢) المصدر نفسه: ٤/ ١٩٨٦.
(٣) شرح النووي: ١٦/ ١٢٠.
(٤) سورة آل عمران، آية: ١٠٥.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾(١).

وجاء التحذير في السنة وفي مواطن كثيرة ما يدل على ذلك ومنها قوله ﷺ الجماعة رحمة، والفرقة عذاب، فعن النعمان بن بشير ؓ، عن النبي ﷺ أنه قال: " على المنبر الجماعة رحمة، والفرقة عذاب "(٢).

وفي الحديث أن يد الله مع الجماعة، فعن بن عمر ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " لا يجمع الله هذه الأمة على الضلالة أبداً، وقال يد الله على الجماعة، فاتبعوا السواد الأعظم، فإنه من شذ شذ في النار "(٣).

وقوله ﷺ محذراً من هجر المسلم للمسلم فوق ثلاث أيام، فعن عوف بن مالك بن الطفيل هو بن الحارث ؓ وهو ابن أخي عائشة رضي الله تعالى عنها زوج النبي ﷺ لأمها أن عائشة رضي الله تعالى عنها حدثت أن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة رضي الله عنها، والله لتنتهين عائشة رضي الله تعالى عنها، أو لأحجرن عليها، فقالت أهو قال هذا، قالوا نعم، قالت هو لله علي نذر أن لا أكلم بن الزبير أبداً فاستشفع بن الزبير إليها حين طالت الهجرة، فقالت لا والله، لا أشفع فيه أبداً، ولا أتحنث إلى نذري فلما طال ذلك على بن الزبير كلم المسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث،

(١) سورة الأنعام، آية: ١٥٩.
(٢) مسند الشهاب، لأبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي، ت٤٥٤هـ، مراجعة: حمدي السلفي، طبعة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ: ج ١ / ٤٣.
(٣) المستدرك على الصحيحين لمحمد بن عبد الله أبـو عبـد الله الحـاكم النيسابوري، ت ٤٠٥هـ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، سنة النشر١٤١١هـ: ١/ ١٩٩.

وهما من بني زهرة، وقال لهما أنشدكما بالله لما أدخلتماني على عائشة رضي الله تعالى عنهما، فإنها لا يحل لها أن تنذر قطيعتي ، فاقبل به المسور وعبد الرحمن مشتملين بأرديتهما حتى استأذنا على عائشة رضي الله تعالى عنها، فقالا السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أندخل قالت عائشة ادخلوا قالوا كلنا قالت نعم ادخلوا كلكم، ولا تعلم أن معهما ابن الزبير، فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب فاعتنق عائشة، وطفق يناشدها ويبكي، وطفق المسور وعبد الرحمن يناشداها إلا ما كلمته، وقبلت منه ويقولان إن النبي ﷺ نهى عما قد علمت من الهجرة، فإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، فلما أكثروا على عائشة رضي الله تعالى عنها من التذكرة والتحريج، طفقت تذكرهما وتبكي وتقول، إني نذرت والنذر شديد فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة، وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تبل دموعها خمارها (١).

قال ابن حجر رحمه الله في الفتح، بكسر الهاء، وسكون الجيم، أي ترك الشخص مكالمة الآخر إذا تلاقيا، وهي في الأصل الترك فعلا كان أو قولا وليس المراد بها مفارقة الوطن فإن تلك تقدم حكمها قوله وقول النبي ﷺ لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال قد وصله في الباب عن أبي أيوب وأراد هنا أن يبين أن عمومه مخصوص بمن هجر أخاه بغير موجب لذلك قال النووي قال العلماء تحرم الهجرة بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال بالنص وتباح في الثلاث بالمفهوم وإنما عفي عنه في ذلك لأن الآدمي مجبول على الغضب فسومح بذلك القدر ليرجع ويزول ذلك العارض وقال أبو العباس القرطبي المعتبر ثلاث ليال حتى لو بدأ بالهجرة في أثناء النهار الغي البعض وتعتبر ليلة ذلك اليوم وينقضي العفو بانقضاء الليلة الثالثة قلت وفي الجزم باعتبار الليالي دون الأيام جمود وقد مضى في باب ما نهي عن

(١) أخرجه البخاري: ٥/ ٢٢٥٥.

التحاسد في رواية شعيب في حديث أبي أيوب بلفظ ثلاثة أيام فالمعتمد أن المرخص فيه ثلاثة أيام بلياليها فحيث أطلقت الليالي أريد بأيامها وحيث أطلقت الأيام أريد بلياليها ويكون الاعتبار مضى ثلاثة أيام بلياليها ملفقة إذا ابتدأت مثلا من الظهر يوم السبت كان آخرها الظهر يوم الثلاثاء ويحتمل أن يلغى الكسر ويكون أول العدد من ابتداء اليوم أو الليلة والأول أحوط (١).

كل ذلك حفاظا على اللحمة التي بين المسلم وأخيه المسلم ، والعمل على بقاء الرحمة بين الجماعة ، فالإسلام دين الإخاء والرحمة والتآلف والتوادد.

إن تشرذم المسلمين وتناحرهم يرجع إلى عوامل كثيرة، لكن أهم هذه العوامل هي تدخل أياد خفية تكيد لإخوهم، وتتربص بوحدهم الدوائر، فالكثير من خلافات المذاهب الإسلامية لم تؤثر في وحدة المسلمين طوال تاريخهم، وذلك لأنها بقيت محافظة على الوحدة والجماعة وكانت في منأى عن الهجمة الاستعمارية المغذية للنعرات المذهبية، كما هو الحال في العلاقة بين السنة وبعضهم البعض، أو بين أتباع المذاهب الفقهية.

إن اختلاف المسلمين بهذه الصورة وبهذا الحال يضعف شوكتهم وقوهم، ويذهب ريحهم، كما أخبر تعالى بقوله في كتابه الكريم: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾(٢).

والاختلاف يبدد عزهم، ويعطي الفرصة لعدوهم ليفترسهم ويقضي عليهم كما هو الواقع اليوم، مزقهم وشرذمهم وقسمهم، وأخذ يلتهم مقدراهم وينهب اقتصادهم وينتهك حرماهم قطرا بعد قطر وبلد بعد آخر، ومصرا وراء مصر.

(٢) فتح الباري: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الخطيب، قصي الخطيب، دار المعرفة، بيروت، سنة النشر ١٣٧٩هـ: ١٠/ ٤٩٢.

(١) سورة الأنفال، آية: ٤٦.

وافتراق المسلمين أيضاً قدر الله لكل الأمم، وفيه مصداق نبوءة نبوية لنبينا ﷺ. حين قال: "افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين، فرقة واحدة في الجنة، وثنتان وسبعون في النار، قيل: يا رسول الله من هم؟"([1]).

وهكذا فالتفرق ميراثنا من الأمم السابقة، وتناحر بعضنا واقتتالهم ملموم لنكوصه عن هدي الإسلام إلى سبل الضلال والكفر كما دل بذلك حديث رسول الله ﷺ " فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم .. فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض"([2]).

إن حاضر المسلمين لن يصلح إلا بما أصلح ماضيهم ، فالعز كل العز في العمل بهذا الدين فعن طارق بن شهاب رحمه الله قال: [خرج عمر بن الخطاب ﵁ إلى الشام ومعنا أبو عبيدة بن الجراح ﵁ فأتوا على مخاضة، وعمر ﵁ على ناقة له فنزل عنها، وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة([3])، فقال أبو عبيدة ﵁ يا أمير المؤمنين ، أنت تفعل هذا تخلع خفيك

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، المكتبة العلمية، بيروت– لبنان، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي: ١٣٢٢/٢ برقم: (٣٩٩٢)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري: ٣٧/١، برقم٦٧.

(٣) المخاضة: وهي بقاع كانت لقوم من جهينة ثم صارت لعبد الرحمن بن محمد بن غرير وهي التي يقول فيها ابن بشير الخارجي، ألا أبلغا أهل المخاضة أنني مقيم بزورا آخر الدهر الفاء وكانت وعرة وبها غرض يستخرج منه الشب والغرض شق في أعلى الجبل أو في وسطه قال الشاعر يا كاس ما ثغب برأس ممنع نزل أضر غروضه شؤبوب بألذ منك

وتضعهما على عاتقك ، وتأخذ بزمام ناقتك ، وتخوض بها المخاضة ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك ، فقال عمر ﵁ أوه ، لم يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالاً لأمة محمد ﷺ ، إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام ، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله] ([1]).

إن الإسلام هو الذي جعل من أوزاع العرب وغيرهم أمة واحدة، وأحالهم من أمة أمية جاهلة إلى أمة قادت ركب الحضارة الإنسانية ثمانية قرون.

إن الرصيد الذي يمتلكه الإسلام في مبادئه وتصوراته ما يزال الأمل الذي يتطلع إليه العقلاء من أبناء هذه الأمة، فكل سؤدد وشرف وحضارة في الاستمساك بالإسلام، في حين أن مظاهر التخلف والتفرق نتاج قدري حتمي لبعدنا عن الإسلام، فما أحرانا أن نسارع في العود إليه والاستمساك بهديه القويم، والإسلام الذي صدر التقدم والتطور والرقي لبلاد العالم كله قادر على أن يعيد نفسه مرة أخرى بسواعد أبنائه، وجهود أتباعه، وهي سنة الله جل وعلا في خلقه، ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً﴾ ([2])، ومن أصدق من الله قيلا، ومن أصدق من الله حديثا.

إن الإسلام مُصارَع ومُحارَب منذ أن وُجد على الأرض، ومن سنن الله الكونية أن يحارب ويصارع، لأنه عظيم، ولأن صراع الحق للباطل سنة باقية إلى

شريهة وبشامه نديان يقصر دونه اليعقوب هكذا نقل السكوني والمعروف ثم اللغويين أن الغرض بفتح الغين المعجمة وإسكان الراء المهملة الشعيبة في الوادي والجمع غرضان، معجم ما استعجم ، لعبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبد الله، دار النشر عالم الكتب، بيروت، ط: ٣٣، سنة١٤٠٣هـ، تحقيق: مصطفى السقا : (١٥٥/١).

(١) المستدرك على الصحيحين: ١٣٠/١.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٨.

قيام الساعة ، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾(١).

ويقول سبحانه: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾(٢).

ويقول جل وعلا مبيناً لنا منهجاً واضحاً، وطريقاً قويماً، وهو عدم الوهن وعدم اليأس والقنوط، قال تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾(٣).

وقال جل وعلا: ﴿ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾(٤).

وقال سبحانه : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(٥).

وحذر النبي ﷺ : من التنطع بأن درب من دروب الهلاك ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " هلك المتنطعون قالها ثلاثاً""(٦).

قال النووي في شرح الحديث، هلك المتنطعون، أي: المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم(٧).

---

(١) سورة الفرقان، آية :٣١.

(٢) سورة البقرة، آية:٢٥١.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٣٩.

(٤) سورة يوسف، آية: ٨٧ .

(٥) سورة الزمر، آية:٥٣.

(٦) أخرجه مسلم: ٤ / ٢٠٥٥.

(٧) شرح النووي على صحيح مسلم للنووي: ٢٢٠/١٦.

إنَّ أمة الإسلام اليوم مثخنةٌ بأنواع من الجراح، مكلومةٌ في مجالات شتَّى، ولكم أن تتأملوا في الكلّيات والضروريات الخمس التي لا قوام للأمة إلا بها وهي (الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال) فتجدوا أن فيها ما فيها من الوهن والخلل والتفريط والتقصير.

فالناظر فيما عليه المسلمون اليوم من التمسك بدينهم، وبعدهم عن منهج الإسلام القويم، وعدولهم عن الصراط المستقيم يجد الخلل الكبير، والتفريط العظيم الذي طال كثيراً من المسلمين في عقيدتهم،والتقصير الكبير في استقامتهم على منهج دينهم وسنة نبيهم ﷺ، وما ألَمَّ بهم من الشركيات والبدع والخرافات والخزعبلات، وهكذا الشأن في المحافظة على شعائر الدين من الصلاة والزكاة والصيام والحج وبقية الواجبات والمفروضات من التفريط الكبير والكثير، وكذلك أخلاقهم، وحدث عن ذلك ولا حرج، فإن الأخلاق اليوم تلاشت وضاعت تبعاً لضياع العقيدة والعبادة، فإن من ضيع وتهاون في عقيدته وعبادته، فمن باب أولى يأتي الضياع في أخلاقه وسلوكه، وما بقي في جميع مناحي وشؤون الحياة الخاصة والعامة.

وبما أن العقيدة هي أصل الدين، والتوحيد هو الركيزة التي تنطلق إلى منه بقية العبادات والشرائع كان لزاماً أن نضع صورة مثالية بين يدي المسلمين لتكون مقياسا على ما هم عليه اليوم، ومن ثم ينطلق المسلم ليتعرف عليها وبعدها يقبل ويرغب في بقية العبادات والشرائع، لأن العقيدة هي توجد الرغبة والمحبة لبقية الشرائع والواجبات والمفروضات، لأن من أسس بنيانه، وأرسى قواعده رغب في إعلائه، وأحب تطاوله وزيادته إلى أعلى عليين، وهذه صورة على ذلك تبين واقع المسلمين تجاه عقيدتهم، هل الأصول الثلاثة تشكل عندهم أهمية كبيرة في واقعهم من العلم، وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، والعلم

بذلك، والدعوة إليه، والصبر على الأذى فيه، ومقتضى ذلك مادلت عليه وتضمنته سورة العصر، قال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾(١).

قال الطَبري رحمه الله ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ يقول: إلا الذين صدقوا الله ووحدوه، وأقروا له بالوحدانية والطاعة، وعملوا الصالحات وأدوا ما لزمهم من فرائضه، واجتنبوا ما نهاهم عنه من معاصيه، واستثنى ﴿ الذين آمنوا ﴾ عن الإنسان لأن الإنسان بمعنى الجمع لا بمعنى الواحد، وقوله وتواصوا بالحق يقول: وأوصى بعضهم بعضاً بلزوم العمل بما أنزل الله في كتابه من أمره، واجتناب ما نهى عنه فيه.

وساق عن قتادة، والحسن رحمهما الله في قوله تعالى: ﴿ وتواصوا بالحق ﴾، (والحق كتاب الله)(٢).

وقد بوب البخاري رحمه الله في صحيحه بقوله: (بَاب الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ) لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلا اللهُ ﴾ فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ، وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَرَّثُوا الْعِلْمَ مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿ إنما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ وقال: ﴿ وما يَعْقِلُهَا إلا الْعَالِمُونَ ﴾ ﴿ وَقَالُوا لو كنا نَسْمَعُ أو نَعْقِلُ ما كنا في أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ وقال: ﴿ هل يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وقال النبي ﷺ: من يُرِدْ اللهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ وَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ وقال أبو ذَرٍّ ﵁: لو وَضَعْتُمْ الصَّمْصَامَةَ على هذه وَأَشَارَ إلى قَفَاهُ ثُمَّ ظَنَنْتُ أَنِّي أُنْفِذُ كَلِمَةً سَمِعْتُهَا من

(١) سورة العصر، الآيات: ١ – ٣.

(١) تفسير الطبري: ٣٠/٢٩٠.

النبي ﷺ قبل أن تُجِيزُوا عَلَيَّ لَأَنْفَذْتُهَا، وقال ابن عَبَّاسٍ ﵄: ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ حُلَمَاءَ فُقَهَاءَ، وَيُقَالُ الرَّبَّانِيُّ الذي يُرَبِّي الناس بِصِغَارِ الْعِلْمِ قبل كِبَارِهِ(١).

ومع ذلك هناك صد واضح وبين لهذه العقيدة الصحيحة الواضحة التي دلت عليها الأدلة من كتاب الله جل وعلا، وسنة رسوله ﷺ.

وهكذا ما يمارس اليوم من أنواع الصد عن سبيل الله وشرعه ودينه، فمن بني جلدتنا من يقف حجر عسرة وحاجزاً وحائلاً ومانعاً بين الناس وبين تمسكهم بالدين وخاصة بعض الكتاب الذين يحاولون تشويه معالم الشرع، والتنفير منه، والتشهير بأهله، وحملته من أهل العلم وطلابه، والدعاة والمصلحين.

وغير بعيد عنهم ما تمارسه طوائف من المشركين والكفار من تشويه لدين الإسلام ومحاولة للنيل منه، كما أخبر الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾(٢).

ولذلك نشطوا في محاولات الإساءة والاستهزاء بشرائع الدين وبنبينا محمد ﷺ.

ولئن ساءنا ذلك الأمر وكدرنا، وأساء وكدر المسلمين في كل مكان إلا أن الأمر كما قال الله ﷻ: ﴿ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾(٣).

فهو علامة على مدى ما للدين الحنيف من قبول في أصقاع الأرض حمل أعداءه على إعلان المعاداة للإسلام، بل ومحاولة تشويهه في أنظار أتباعهم، فبحسب

(١) أخرجه البخاري: ٣٧/١ .

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٦.

(٣) سورة النساء، آية: ١٩.

دراساتهم أن الإسلام إن استمر الداخلون فيه على هذه الوتيرة فستكون أوروبا قارة مسلمة بأكملها خلال عقود قليلة.

ولكن محاولات إساءاتهم نحو النبي ﷺ كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾(١).

وموقفهم من الإسلام لنا فيه وعدٌ صادقٌ من الله تعالى كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(٢).

ومن نظر في جانب الإعراض يدرك ما ابتليت الأمة اليوم بأشياء تقود كثيراً من أفرادها إلى الإخلال بها.

ولو أن أحداً أساء لرمز من الرموز التي لها قبول عند العامة والخاصة حتى ولو كان من رموز اللهو والفساد والعبث لا تنقصه الناس ونبذوه.

إن الواقع اليوم أعظم من هذا وأكبر، إنَّ دهماء الناس اليوم وعامتهم لو مر بينهم واحد من هؤلاء لازدحموا حوله يتمنون التقرب إليه ومصافحته... أو حتى الحديث إليه... إن هذا ليس ضرباً من الخيال... ولكنه الواقع والحقيقة، فالقدوة الكبرى لدى جمع غفير من الناس اليوم هم أرباب اللهو والفساد والباطل، بل والبعض أخذ يحذوا ويقتدي ويتأسى بأعدائنا وصدق فيهم قول الرسول ﷺ في الحديث عن أبي سعيد الخدري ؓعن النبي ﷺ قال: " لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراعٍ حتى لو دخلوا جحر ضبٍ تبعتموهم ، قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن !"(٣).

(١) سورة الحجر، آية: ٩٥.

(٢) سورة التوبة، آية: ٣٢.

(٣) أخرجه البخاري: ٢٦٦٩/٦.

حتى باتت وسائل الإعلام متخمة ومليئة بتلك النماذج السيئة، وصار لها المشاركة حتى في مجالات شتى، والنتيجة لهذه السفاهات يدركها من نظر في الأرقام المتصاعدة لجرائم الاختطاف والفواحش وغيرها من أنواع الموبقات.

إن من استمسك بدينه أعزه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، فالإصلاح لا يكون إلا بالاستمساك به، ولا بقاء إلا لمن سار على نهجه، فما رأيت أمة تخلت عن دينها وتركت تعاليمه إلا سامها عدوها الخسف والهوان، وحل بها الذل والصغار، وديننا الإسلامي لا يقبل الذلة، ويأبى التبعية ويرفض الخنوع وسنة الله ماضية إن كل أمة تستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق لا تزال في تقهقر وانحطاط وتلاش واضمحلال، وإذا هزمت الأمة في عقيدتها فقد غشيتها الذلة وما كان لها أن ترفع رأسا أو تحقق عزاً، ومن أبرز علامات ضعف الأمة أخذها بكل ما يساق إليها.

وإن لدى الأعداء بضاعة يقدمونها ويصدرونها إلى الضعاف وهي كل ما يسلب الأخلاق ويدمر القيم، ويذل الأمة ويخدر شبابها ويميع أبناءها وكثيراً من الدويلات تظن نفسها من التحضر والتقدم بمكان بينما أبناؤها عبيد أرقاء شاءوا، أم أبوا، وتشهد على ذلك مدارسهم، ومناهجهم، ومكاتبهم، وبيوتهم، وأسواقهم، ومجتمعاتهم، ومحاكمهم، وقوانينهم، ومحاكم الدستورية الإفرنجية، وتقليد الأعمى للمستعمر في اللباس والهيئة والمظهر، وفي العمارة والتشييد وفي الكلام واللغة والاستهتار والانحلال وفي التخلي عن الروابط الاجتماعية والجرأة على المحرمات الشرعية،

المطلب الثاني

الغزو الفكري، تعريفه، ونشأته، وبعض مظاهره:

أولا: تعريف الغزو الفكري:

سئل الشيخ ابن باز رحمه الله عنه فقال: هو مصطلح حديث يعني مجموعة الجهود التي تقوم بها أمة من الأمم للاستيلاء على أمة أخرى أو التأثير عليها حتى تتجه وجهة معينة. وهو أخطر من الغزو العسكري؛ لأن الغزو الفكري ينحو إلى السرية وسلوك المسارب الخفية في بادئ الأمر فلا تحس به الأمة المغزوة، ولا تستعد لصده والوقوف في وجهه حتى تقع فريسة له وتكون نتيجته أن هذه الأمة تصبح مريضة الفكر والإحساس تحب ما يريده لها عدوها أن تحبه وتكره ما يريد منها أن تكرهه. وهو داء عضال يفتك بالأمم ويذهب شخصيتها ويزيل معاني الأصالة والقوة فيها والأمة التي تبتلى به لا تحس بما أصابها ولا تدري عنه ولذلك يصبح علاجها أمرا صعبا وإفهامها سبيل الرشد شيئاً عسيراً([1]).

وعرفه آخرون: بأنه الوسائل غير العسكرية التي اتخذها الغزو الصليبي لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام مما يتعلق بالعقيدة، وما يتصل بها من أفكار وتقاليد وأنماط سلوك ([2]).

فالغزو الفكري إذاً مجموعة من المعتقدات والأفكار التي تدخل على الفكر الإسلامي هدفها السيطرة على هذا الفكر أو على الأقل حرفه عن وجهته الصحيحة.

---

(١) موقع كلمات، أسئلة أجاب عليها فضيلة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز مفتي السعودية رحمه الله.

(٢) واقعنا المعاصر لمحمد قطب: ص١٩٥.

ثانياً: نشأة الغزو الفكري:

بعد فشل الحروب الصليبية وعدم استطاعة الصليبين السيطرة على المسلمين بالوسائل العسكرية تنادى مفكروهم وقوادهم إلى ضرورة استحداث أسلوب آخر يكفل لهم تحقيق أهدافهم، فكان هذا الأسلوب المطلوب هو الغزو الفكري.

يقول لويس التاسع ملك فرنسا بعد أن وقع في الأسر وبقي سجيناً في المنصورة يقول(إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده، فقد هزمتم أمامهم في معركة السلاح ولكن حاربوهم في عقيدتهم فهي مكمن([1]) القوة فيهم([2]).

وبالفعل بدأت الحملات الصليبية ولكن هذا المرة عن طريق الفكر وبالفكر، واستخدمت الوسائل المتعددة والأساليب الكثيرة لتحقيق ما يريدون، سواء كان ذلك عن طريق الوسائل التعليمية أو عن طريق الوسائل الاقتصادية أو عن طريق الوسائل الاجتماعية أو عن طريق الوسائل السياسية، مما سيأتي الكلام عنه مفصلا عند الكلام على وسائل الغزو الفكري.

وكان للغزو الفكري دوراً كبيراً في إفساد الأمة، وتمييع الشعوب الإسلامية.

والغزو الفكري مقصود، يعمل لإذابة الشعوب، وانسلاخها عن عقائدها، ومذاهبها، وحضاراتها، لتصبح مسخاً شائهاً تابعاً لغيره، يؤمر فيطيع.

ولقد عمل هذا الغزو على تضليل المجتمعات الإنسانية، والتمويه عليها، وقلب الحقائق، وتشويه الحقيقة عن طريق تصنيع الكلمة، وزخرفة القول،

---

(١) مكمن: بمعنى موضع، قال الشاعر: فأَصبَحْتَ كالكُمُّونِ ماتَتْ عُروقُه، وأَغصانُه مما يَمُنُّونَه خُضْرُ ودارةُ مَكْمِنٍ : موضع؛ عن كراع، لسان العرب: ٣٦٠/١٣.

(٢) واقعنا المعاصر لمحمد قطب: ص١٩٦.

والدخول إلى المخاطب، من نقطة الضعف، والاستغفال لإغرائه، والإيقاع به، والإيحاء إليه بسلامة الفكرة، وصحة المفهوم المزيف الذي تحمله كلمات الغزو.

ولكم تهاوت أمم وشعوب وأجيال، وتساقطت في هاوية الضلال والانحراف، والفساد الخلقي، والعقدي، والاجتماعي، بسبب تصورات (الغزو) المزخرفة الخداعة، التي ينخدع السذج، والجهال بمكرها وتسممها ، ويفتنون بسماعها وأناقة ظاهرها.

ولكم عانى الإسلام والشعوب الإسلامية من أولئك الذين يصنعون (الغزو الفكري)، ويصدرونه في موجات، تقتحم الديار والبيوت الإسلامية، لقد قيدت الأمة إلى هاوية الضلال، والانحراف.

ولقد كان (للغزو الفكري) في كل جيل، وفي كل عصر دوره التخريبي، في حياة الناس، إلا أن البشرية لم تشهد في مرحلة من مراحل حياته وضعاً كان فيه (للغزو الفكري) خبراء، ومتفلسفون، وأجهزة، ومؤسسات، كعصرنا الحاضر هذا، الذي اتخذ فيه (الغزو الفكري) صبغة الفلسفة، والنظرية، والمبدأ، الذي يعتنقه الأتباع، ويدافعون عنه، وينقادون له.

و قضية الغزو الفكري أصبحت اليوم من أشد القضايا خطراً على الأمة والدعوة، وتبدو ظواهر هذا الغزو المدمر، في قلوب وعقول كثير من المثقفين، في هذا العصر واضحة بينة، والسلاح الذي يستعمله (الغزو الفكري) مدمر قتال، يؤثر في الأمم والمجتمعات أكثر مما يؤثر المدفع والصاروخ والطائرة، وقد ينزل إلى الميدان، ويعظم خطره، حين تخفق وسائل الحديد والنار، في تحقيق الهدف، والوصول إلى الغاية، والخطر الذي يحتجنه هذا الغزو أكثر بكثير من قتل الأفراد، بل من قتل جيل بأسره. إذ يتعدى ذلك إلى قتل أجيال متعاقبة، والسلاح الذي يستعمله هذا الغزو هو سلاح الحيلة والشبهات وتحريف الكلم والخديعة في العرض.

ومما لا ينكر أنه لم يواجه دين من الأديان، ولا عقيدة من العقائد، مثل ما واجه الإسلام من تحديات، فقد واجه الإسلام منذ فجر تاريخه، تحديات مريرة من مخالفيه، فقد واجه المشركين في مكة، واليهود في المدينة، ثم لما فتحت الأمصار، وانتشر الإسلام فيها واجهت الثقافة الإسلامية أفكاراً شعوبية إلحادية، وفلسفات وثنية، كالفلسفات الفارسية، واليونانية والهندية، وغيرها. ولكن الإسلام ثبت أمام هذه التحديات، وانتصر عليها. فقد كان المجتمع الإسلامي آنذاك يعي الإسلام وعياً كاملاً، ويدرك أخطار الأفكار والاتجاهات التي كان يطرحها الفلاسفة والزنادقة، وما تحمله من شبهات، وهي في جملتها تعمل على نقل الفكر، من مجال أصالة الفطرة، ومنطق العقل الصحيح، وطريق التوحيد، وطابع الإيمان، إلى مجال الإلحاد والإباحية. غير أن المجتمع تصدى لهم، وأخذ يكشف زيفهم، ويبين ما انطوت عليه قلوبهم من كيد، ولم تستطع أن تنال من الإسلام عبر العصور.

على أن من أخطر هذه التحديات هي تلك التي تواجهها المجتمعات الإسلامية اليوم، وهي تحديات تتمثل بالمواجهة السافرة حيناً، والمستترة أحياناً، هذا التحدي الذي يتمثل حالياً بالغزو الفكري الغربي.

لقد كان غزوهم شاملا في العقائد، والسياسة، والحكم، والاقتصاد، والتعليم، والإعلام، والتقاليد. هجوم من الخارج تارة، ومن الداخل تارة أخرى فمن أبناء جلدتنا من هم أبواق للمستعمرين ودعاة للكافرين والملحدين.

يقول بعض زعماء اليهود: (لقد نشرنا روح التحرر الكاذب بين الشعوب الغيورة لإقناعهم بالتخلي عن دينهم بل استطعنا تثبيت الشعور بالخجل من الإعلان عن تعاليم الدين وأوامره ونواهيه (ففي هذا دعوة لأتباع هذا الدين أن يستفيقوا من غفلتهم، ويستيقظوا من رقدتهم).

فإن في ديننا الإسلامي غنية ورفعة لهم من كل هذا العناء، وأنجى لهم من ذلك الهراء، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٢).

أي شرفكم وعزتكم، فليكن أيها المسلم خلقك القرآن، ومنهجك الإسلام، وشريعتك وأحكامك الفرقان، ولتكن مميزاً في لباسك هيئتك ومظهرك وبيتك وسلوكك وفي كل شئون حياتك تظهر عليك علامات الإسلام وأمارات التقوى وصفات المسلم الذي يعتز بالقرآن ومثله وقدوته محمد ﷺ.

ثالثاً: بعض مظاهر الغزو الفكري:

ومظاهر الغزو الفكري يلمسها المراقب والباحث في كثير من القضايا تكاد تشمل جميع جوانب الحياة، وهذه المظاهر لم تكن إلا بناءاً على دراسات دقيقة لأحوال المجتمعات الإسلامية.

لقد خطط أعداء الأمة الإسلامية، وتدارسوا الأمر فيما بينهم، ووضعوا مخططات تنفذ بكل دقة، وتوالت مظاهر الغزو الفكري تنتشر بين المسلمين، ومن هذه المظاهر ما يلي:

١ – حملات التشويه.

٢ – إحياء النزعات الجاهلية.

٣– إبعاد العلماء عن مراكز التوجيه والسلطة.

٤– التعليم والثقافة.

٥– الخدمات الاجتماعية.

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٥٣.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ١٠.

أولاً: حملات التشويه:

إذا ما بحثنا في حملات التشويه – والتي كانت مظهراً من مظاهر الغزو الفكري – وجدنا أن هذه الحملات، مست كل ما يتصل بالإسلام من عقائد ونظم وتراث وتاريخ وفكر وحياة.

الأول: فهناك محاولة تشويه عقائد المسلمين، بغير سند ولا دليل. يقول رينان الفرنسي، وهو يصور عقيدة التوحيد في الإسلام: (بأنها عقيدة تؤدي إلى حيرة المسلم. كما تحط به كإنسان إلى أسفل الدرك). [مقالة في موقع انترنت إسلام ويب]

ودائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الجديدة، التي لم تترجم إلى اللغة العربية، تزعم فيما تعرضه تحت مادة: (ابن تيمية)، أن ابن تيمية كان مسرفاً في القول بالتجسيد، ومن ثم كان يفسر كل الآيات والأحاديث التي تشير إلى الله بظاهر اللفظ، وقد تشبع بهذه العقيدة، إلى درجة أن ابن بطوطة يروي عنه، أنه قال من منبر جامع دمشق: (إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا، ثم نزل درجة من درج المنبر).

الثاني: وهناك محاولة: تشويه القرآن الكريم، وهي محاولة قديمة وحديثة، وهذه المحاولة كغيرها بعيدة عن العلم والمنطق. يقول المستشرق جب: (إن محمداً ﷺ قد تأثر بالبيئة التي عاش فيها، وشق طريقة بين الأفكار والعقائد الشائعة في بيئته، فالقرآن من صنع محمد ﷺ ومن ملائمات هذه البيئة التي عاش فيها).

الثالث: وهناك محاولة تشويه السنة النبوية، وهي محاولات في غاية الخطورة، وعميقة الجذور في تاريخ الحرب ضد الإسلام، والنيل من هذه العقيدة، وهي محاولات تستهدف مما تستهدفه محاولات تشويه القرآن الكريم، من عزل المسلمين عن دينهم، بتشويه مصدرية الأساسين القرآن والسنة.

وهي حرب دخلت على المسلمين حديثاً عن طريق الغزو الفكري، وقد جند أعداء الإسلام لتشويه السنة، ما جندوا من أقلام، وكتب، ومجلات، وبحوث، ومجمل محاولات الأعداء:

- الادعاء بأن هناك بعض الأحاديث لا يمكن أن تكون قد صدرت عن النبيﷺ.

- والادعاء بأن محاولة وجود شيء في الحديث النبوي يمكن القطع بصحة نسبته إلى النبي ﷺ وسلم تاريخياً، محاولة فاشلة.

- الادعاء بأن الفرق الإسلامية عندما اختلفت في الآراء، أخذ كل منها يضع لنفسه الأحاديث التي يؤيد بها رأيه.

- الادعاء بأن الأحاديث النبوية ليست إلا سجلا للجدل الديني في القرون الأولى.

الرابع: وهناك محاولة تشويه شخصية الرسول محمد ﷺ، وهي محاولات قديمة وحديثة ومستمرة، تهاجم رسول الله ﷺ، وتحاول أن تنال من شخصه.

الخامس: وهناك محاولة تشويه التاريخ الإسلامي. وهذه المحاولة من أخبث المحاولات وأكثرها دهاءً ومكراً فقد صور هؤلاء الحاقدون على الإسلام والمسلمين، أن الفتوحات الإسلامية فتوحات غزو واستعمار، وأن الخلافة الإسلامية خلافة تآمر، وسفك للدماء، وغير ذلك كثير مما لا يقره عقل ولا دين.

السادس: محاولة تشويه التراث الإسلامي، ولا يخفى أن تشويه تراث الأمة، هو تشويه للأصالة التي تنطلق منها. وتراث المسلمين تعرض لانتهاك هؤلاء الحاقدين على كل ما هو إسلامي، فأصابه ما أصاب غيره من الافتراء والافتئات.

السابع: هناك محاولة تشويه مجال الغيب في الإسلام ، وهذه المحاولة أريد منها زعزعة الإيمان بالغيب عند المسلمين، ولذا جاءت المحاولة تشكك في كل ما لا

تدركه الحواس، وتفسر الجزاء عند المصدقين به. . بأنه جزاء روحي، والجنة والنار بأنهما شعور نفسي.

الثامن: وهناك محاولة تشويه نظام الحياة الإسلامية، وذلك بالادعاء بأنه لا يوجد نظام للحياة معروف في الإسلام.

ثانياً: اتهامات للنظم الإسلامية:

ومن التهم التي وجهت إلى نظام الحياة الإسلامية كثيرة ولكن أبرزها وأخطرها:

الأول: اتهامهم للقوانين والنظم الإسلامية بالرجعية وعدم القدرة على مواكبة ركب التحضر والتقدم.

الثاني: اتهامهم النظم الإسلامية بالمحلية والقصور والإقليمية.

الثالث: اتهامهم لها بأنها عند التطبيق والتنفيذ تعتمد على وحشية أو همجية أو قسوة، وبخاصة فيما يتصل بالرجم والقطع والجلد.

الرابع: اتهامهم للقوانين والنظم الإسلامية، بأنها لم تحظ بإجماع المسلمين عليها، في عصر من العصور.

الخامس: اتهامهم لها بأنها تتجاهل الأقليات غير الإسلامية ، في ظل الدولة الإسلامية.

وهذه التهم قد أطلقها أعداء الإسلام من غير المسلمين، وشاركهم في إطلاقها بعض المسلمين المخدوعين بالفكر الغربي.

وهناك محاولات تشويهية أخرى تتصل بجوانب من الإسلام وتعاليمه ، وإحياء النزعات الجاهلية التي لا تتفق مع تعاليم الإسلام، كالدعوة إلى القومية ، والدعوة إلى الفرعونية، والآشورية، والفينيقية، وما جرى مجرى هذا، مما يتنافى مع الإسلام.

ثالثاً: الدعوة إلى التحلل والإباحية:

وهذه دعوة خبيثة لأنها تطعن الأمة في أخلاقها وقيمها، وقد شاعت في المجتمعات الإسلامية أمور تعافها الفطر السليمة. ولكنه الانحراف الذي لا يعترف بالقيم الفاضلة.

ولا يخفى أن إبعاد العلماء عن المراكز التوجيهية أمر له خطورته. وفي بعض المجتمعات تقلص دور العلماء، وأصبح قاصراً على خطبة الجمعة، وبعض الأحاديث التي تخضع للعيون الساهرة والمراقبة الدقيقة، وأصبح بعض العلماء يجرون وراء المناصب جرياً، تذل له الجباه، ويطلبون المناصب بما لهم من مآثر في الأتباع، وأيادٍ في التصفيق والتأييد.

رابعاً: إبعاد العلماء عن مراكز التوجيه والسلطة:

وكان في هذا التصرف على ما فيه من قسوة متنفس للذين لم يجدوا فرصة الاقتصاص من القس الذي أراد أن يتطاول على مقام محمد ﷺ عن طريق الثناء على عمر رضي الله عنه.

وكان ذلك من خلال زيارة للقس زويمر للسودان:

وفي هذه الزيارة لزويمر عام ١٩٢٧م أراد فيها أن ينفث سمومه بين طلبة كلية غردون القديمة فجاء ليلقي محاضرة عن بعض البلاد العربية مبتدءا بالأراضي المقدسة، وجمع المستر يودال عميد الكلية آنذاك كل الطلبة للاستماع للمحاضرة، ووقف زويمر يتحدث ووقف بجانبه المستر يودال مدير الكلية- الرجل الذي كان يمثل الاستعمار في أقبح حالاته- وكان الجو مشبعاً بالإرهاب والكبت فماذا يفعل الطلبة كي يفسدوا محاضرة زويمر وقد أكرهوا على حضورها والاستماع إليها؟.

وبدأ زويمر يتحدث وجاء ذكر النبي ﷺ وبالطبع لم يشفع زويمر اسم النبي بالصلاة عليه فصاح الطلبة كأنهم وجدوا إنقاذ الموقف هنا.. صاحوا بصوت كالرعد: ﷺ.

وذهل زويمر وصمت برهة ثم واصل حديثه ووجد الطلبة في الصلاة على النبي ﷺ طوق النجاة من الاستماع للمحاضر، فكان مثلاً إذا ذكر الحجر الأسود دوّت أصواتهم.. ﷺ.

وإذا ذكر بقعة في الأراضي المقدسة.. ارتفعت أصواتهم بالصلاة على النبي ﷺ.

ولم يملك مدير الكلية غيظه فصاح فيهم معاتباً بأن الصلاة إنما تكون عند ذكر اسم النبي ﷺ فقط، فكان الرد أن ارتفعت الأصوات مرة أخرى بالصلاة على النبي ﷺ. وأدرك زويمر وصاحبه أن هذا يعني رفض الطلبة للاستماع للمحاضرة فطوى أوراقه وذهب ومعه صاحبه مدير الكلية وقد احمر وجهه من فرط الغضب ولكن ماذا يفعل؟ وقد سلك الطلبة الأذكياء أسلوباً لن يستطيع أن يدينهم بسببه، وماذا عساه أن يقول عن طلبة يصلون على النبي ﷺ؟!!.

وهل يقبل منه المجتمع السوداني المسلم أن يعتبر الصلاة على النبي ﷺ جريمة يعاقب عليها أبناؤهم.

هل انتهى المشهد؟ لا ، وشيع الطلبة القس زويمر والإنجليزي يودال بأصوات تدوي كالرعد.. ﷺ.. ﷺ.. إمعاناً في إغاظتهما![1] .

وهذا هو نموذج للشخصية السودانية التي يريدون له أن تذوب كما يذوب الملح في بحر السودان الجديد!.

وبما أن الثقافة ليست علوماً ومعارف وأدباً وفنوناً فحسب، بل هي مناهج فكر وخلق، تصطبغ حياة الأمة بصبغتها في شتى ضروب نشاطها، فإن (الغزو الفكري) استطاع من خلال الثقافة، أن يلقي بمزيج من الأخلاط الغربية الملتمسة من الفكر الغريب المنحرف، والتوجيه الفاسد، القائم على التخطيط الشرير.

---

(١) التبشير الكنسي بالأمس- شبكة المشكاة الإسلامية- موقع على الشبكة العنكبوتية.

ولذا قام الغزو الفكري بالدعوة إلى الأغراض الآتية:

١- الدعوة إلى إضعاف العلاقة بين المسلمين بقطع الروابط الثقافية وإحياء الثقافات الجاهلية.

٢- الدعوة إلى العامية، و إلى تطوير اللغة.

٣- إيجاد الشعور بالتبعية الثقافية، والاندماج في الثقافة الغربية.

٤- تمجيد القيم الغربية، وتسفيه القيم الإسلامية، والدعوة إلى نبذها.

٥- لفت المجتمعات إلى القشور، وإلهائها عما يفيد وينفع.

٦- إحياء المذاهب الفلسفية والجدلية، والبعد عن الأساليب العلمية.

٧-الحرص على تكوين جيل مثقف، يحمل راية الاستشراق والدعوة إليه.

ومما يلاحظ أن (الغزو الفكري) لم يقتصر على المظاهر التي ذكرنا بعضا منها، وإنما كانت هناك خطوات أخرى، محسوبة ومتعددة، على الجهات والطرق كافة.

المطلب الثالث

بعض مخططات الغزو الفكري، وبعض المسائل التي تتعلق بالدعوة والتحديات المعاصرة.

أولاً: بعض مخططات الغزو الفكري:

ومن هذه المخططات:

١- الإرساليات التبشيرية التي قل أن يخلوا مجتمع إسلامي منها.

٢- الإعداد الصهيوني والتنسيق بينه وبين الفكر الغربي.

٣- التصنيف والتأليف في المباحث الإسلامية، واستغلال قصور المسلمين فيها.

٤- إلقاء المحاضرات في الجامعات أو الجمعيات الإسلامية.

٥- إنشاء دوائر المعارف الإسلامية والمعاجم المختلفة.. وغيرها.

٦- استغلال البعثات العلمية والثقافية.

٧- الامتيازات الأجنبية والحصانات الدبلوماسية واستغلالها.

٨- استغلال الأقليات والطوائف وإثارة النعرات والعصبيات.

٩- التعاون بين التبشير والسياسة.

١٠- استغلال الحركات الوطنية، والتطلعات السياسية.

١١- استغلال فقر الشعوب، وحاجتها، وعريها، وربط الإحسان بالتبشير.

١٢- استغلال العواطف والجوع الجنسي، واستخدامه في خدمة الأهداف.

١٣- الرحلات، وجمعيات الصداقة، والدعوة إلى العالمية، والمجتمعات الكشفية.

١٤- المساعدات الاقتصادية، وربطها بتسهيلات، وتنازلات معينة.

وثمة نوع آخر من الاعتداء على العقول تمثل في التفريغ الفكـري لمـوروث الأمة العلمي والثقافي، وباتت علوم الناس اليوم وثقافتهم تشطح كثيراً عما كـان عليه سلف الأمة ، وبات عدد من ذكور الأمة وإناثها مشدوهاً بالمناهج والأفكـار التي تلقوها من الغرب والشرق، وصاروا حانقين على آداب الإسلام وتـشريعاته، ويحاولون الالتفاف عليها بأنواع من الشبهات والضلالات .

وفي جانب المال والمكاسب لا تزال الأمة مجروحة مكلومة في قلب اقتصادها؛ بسبب استمراء الربا، واستسهال أمره، بل إن الدعوة إلى الربـا والإعلان عـن مكاسبه صار الناس يُستَجَرُّون إليه ويُغرَون به ويُخطط له من خـلال الـدعايات الضخمة عبر الصحف، والشاشات والإذاعات بلا خوف من الله ولا وجل مـن وعيده، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (١).

وتبع ذلك ما أشاعه عددٌ من المُبطلين من المعاملات المحرمة من القمار ونحـوه من المعاملات المحرمة ، وقد روى أبو داود في سننه عن ابن عمر رضـي الله تعـالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إذا تبايعتم بالعينَة ، وأخـذتم أذنـاب البقر، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد؛ سلَّط الله علـيكم ذُلا، لا يَنْزِعُـهُ حـتى ترجعوا إلى دينكم "(٢).

قال الشيخ شعيب الأرناؤوط إسناده ضعيف لانقطاعه.

وفي لفظ في المسند عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا ضَنَّ الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعَينِ، واتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله: " أنزل الله بهم بلاء، فلم يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم "(٣).

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٨ - ٢٧٩.

(٢) أخرجه أبو داود: ٣/ ٢٧٤.

(٣) أخرجه أحمد في المسند:٢٨/٢، برقم٤٨٢٥.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: " ليأتينَّ على الناس زمانٌ لا يُبالي المرءُ بِمَ أخذ المالَ، أمن الحلال أم من الحرام "(١).

وأما نفوس المسلمين فلا يخفى عليكم اليوم ما يراق من دماء المسلمين، وخاصة تسلط اليهود في فلسطين، وتسلط النصارى في عدد من بقاع الأرض، واحتلالهم لعدد من بلدان المسلمين.

إنها لحالٌ مؤسفةٌ وأوضاعٌ محزنة، والمعضلة الكبرى في كل ذلك هو ابتعاد الناس عن دينهم وتعاطيهم للدَّنايا من الأمور ومحرماتها.

إنَّ رعايةَ الأخلاق الشريفة والعناية بالفضيلة وإشاعتها في المجتمعات من أهم المهمات وأوجب الواجبات، ذلك أن انهيار الأخلاق وشيوع الرذيلة مُؤذنٌ بأخطار فادحة تعم المجتمع برمته، حتى يَشبَّ على ذلك الصغير ويهرم الكبير.

ولهذا كان من المقاصد والأهداف الشنيعة التي يسعى من في قلوبهم مرضٌ لإشاعتها بين الناس صرفهم عن الهدى والعفاف إلى الفحش والإسفاف، كما أخبر الله عنهم في كتابه الكريم إذ قال عزَّ من قائل: ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ (٢).

والغيرة صفة كمالٍ طالما تمدَّح بها الكرام منذ القدم، وجاءت الشريعة المحمدية فوضعتها في مكانها المناسب بلا إفراط ولا تفريط، فعن جابر بن عتيك الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إنَّ من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله، فأما الغيرة التي يحب الله: فالغيرة في ريبة، وأما التي يبغض الله فالغيرة في غير الرِّيبة، وأما الخيلاء التي يحب الله إن يتخيل العبد بنفسه لله عند القتال، وأن يتخيل بالصدقة"(٣).

(١) أخرجه البخاري: ٢/٧٢٦.

(٢) سورة النساء، آية: ٢٧.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل: ٥/٤٤٥.

وقد كان من تمدُّح العرب باتصاف نبلائهم بالغيرة على المحارم ما جاء عنهم من استحبابهم عفاف النساء وحيائهن وتسترهن وحفظهن لأزواجهن ووفائهنَّ لهم، وقد أشادت بذلك منابر الإعلام ومناراته في زمانهم، أعني فحول شعرائهم، فهذا علقمة بن عبدة يقول:

مُنَعَّمة ما يُستطاعُ كلامُها *** على بابها من أن تُزار رَقيبُ
إذا غاب فيها البعلُ لم تُفش سرَّهُ *** وترضى إياب البعل حين يؤوبُ(١)

وقال الشنفريُّ الأزدي:

لقد أعجبتني لا سقوطاً قناعُها *** إذا ما مشت ولا بذات تلفُّتِ
أُميمةُ لا يخزي فتاها حليلَها *** إذا ذُكر النسوانُ عفَّت وجلَّتِ
إذا هو أمسى آب قُرَّةَ عينه *** مآب السعيد لم يَسَلْ أين ظلَّتِ(٢)

إلى غير ذلك مما حفلت به الدواوين وكتب الأدب في حكاية تلك الأخلاق والخواطر التي اتصلت بحياتهم أيما اتصال.

وفي هذا السياق يقول العلامة ابن القيم رحمه الله حول هذه المسألة مما فيه الذكرى للأزواج وأولياء أمور النساء وما يتوجب عليهم من رعايتهن وصيانتهن والبعد بهن عن كل ما يقلل من كرامتهن أو يهدر مكانتهن: " ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بَليَّة وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، واختلاطُ الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب الموت العام والطَّواعين المتصلة.

(٣) موقع منتديات الدرر.

(٤) المصدر نفسه.

ولما اختلط البغايا بعسكر موسى ﵇ وفشت فيهم الفاحشة أُرسل الله عليهم الطاعون، فمات في يوم واحد سبعون ألفاً، والقصة مشهورة في كتب التفاسير.

فمن أعظم أسباب الموت العام كثرة الزنا بسبب تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال والمشي بينهم متبرجات متجملات ولو علم أولياء الأمر ما في ذلك من فساد الدنيا والرعية قبل الدين لكانوا أشد شيء منعاً لذلك "(١).

وصدق نبينا ﷺ إذ قال: " لم تظهر الفاحشة في قوم قطُّ حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا "(٢).

وإذ قال ﷺ: " ولا ظهرت الفاحشة في قوم قط إلا سلَّط الله عليهم الموت"(٣).

قال عبد الله بن مسعود ﵁: [إذا ظهر الزنا في قرية أذن الله بهلاكها](٤).

وهاهو العالم اليوم يجني نتائج ترحل الغيرة التي يفترض أن تكون لدى كل رجل مسلماً كان أو غير مسلم، لكن كثيراً من العالمين اليوم انفلت لديهم الزمام، وبات الفحش والعهر والزنا يتعاطاه الخارجون عن الفضيلة تحت مسميات متنوعة من الفن والحرية والتمدن والعولمة وغير ذلك من مصطلحات آفلة، فماذا كانت النتيجة لما غارت الغيرة واضمحلت؟.

لقد بات الفحش سمةً عالميةً باء أهلُه بأنواع من العقوبات الإلهية التي أشهرها مرض الإيدز، ففي كل (اثني عشر ثانية مصاب) أي: (٨٥٠٠) شخص يومياً، (

(١) الطرق الحكمية لابن القيم: ص ٢٣٩.

(٢) أخرجه ابن ماجة (٤٠١٩) وحسَّنه العلامة الألباني.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك " (١٣٦/٢)، من حديث بريدة ﵁ مرفوعاً وصححه، وجوَّد سنده الحافظ ابن حجر في " فتح الباري " (١٩٥/١٠).

(٤) موقع المكتبة الإسلامية، إسلام ويب.

٧٥٠٠) منهم من البالغين و(١٠٠٠) من الأطفال، وفي كل ساعة يموت ما يربو على (٦٠) طفلاً جراء فيروس الإيدز(١).

والأيام حُبلى بأنواع من المآسي والمدلهمات، فكلما ترحلت الغيرة على المحارم فإن الكوارث المتنوعة للناس بالمرصاد، وصدق الله إذ يقول في كتابه: ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(٢).

فهل يتنبه أهل الإسلام إلى ما يتوجب عليهم من حفظ هذا الأدب المسلكي الذي يحفظون به محارمهم ويعنون بأهليهم ويقومون به نحوهم بواحد من أعظم الواجبات في الرعاية والتوجيه، وتعزيز جوانب الحشمة والحياء والعفاف والحياء، وهذا هو الواجب علينا جميعاً.

إن الإسلام مصارَع ومحارَب منذ أن وُجد على الأرض، ومِن سنن الله الكونية أن يحارب ويصارع؛ لأنه عظيم.. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾(٣).

ويقول سبحانه: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾(٤)، ولأن هذا الدين بعظمته لا بد له من أعداء.. ولا بد أن يفهم الدعاة وطلبة العلم والعلماء والمتوجهون إلى الله ما يحاك ويخطط ويدبر لهذه الأمة من مكر ومكائد، وكان ذلك يتطلب أخذ الحيطة والحذر، وإعداد العدة لذلك، وهناك مسألة مهمة وخطيرة وهي من شقين:

(١) كلمة الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي (رسالة بمناسبة اليوم العالمي لمكافحة الإيدز)، ١كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠١م.

(٢) سورة آل عمران ، آية: ١١٧.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٣١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

الأول:

أنه لا يمكن أن نبقى بلا قراءة، وقضية أن تُسلّم لنا الساحة ونظفر بها بلا قتال ولا مجاهدة فليس بصحيح، ولو سُلّمت لأحد من الناس لسُلّمت لمحمد ﷺ..

إذاً لا بد من دموع، ولا بد من تضحية، ولا بد من قتال وشهداء، ولا بد من تشويه لمعالم الحق، واتهامات مغرضة، وتعليقات مرة، فهو أمر طبيعي، بل هو قضاء وقدر.

الثاني:

إذا قلنا: إن الإسلام محارَب، فلا يعني هذا أن يجلس الدعاة؛ لأن بعض الدعاة أصابهم قنوط ويأس،يقولون: كفر العالَم وألحد الناس واجتاحنا الكافر وتحوّلت الديانات إلى كفر، والله المستعان! ثم تلفف ببردته وجلس في بيته يصلي الضحى وقيام الليل ويبكي أحسن في جانب ولكنه والله انهزم في الجانب الآخر وفشل في الساحة والله لا يريد هذا الانهزام ولا يريد من المسلم أن يفشل أو أن يقنط أو ييأس.

وقال الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ (١).

وقال جل وعلا: ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ (٢).

وكان النبي ﷺ يحذر من الشهوات، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات " (٣).

---

(١) سورة النساء، آية : ٢٧.

(٢) سورة مريم، آية : ٥٩ .

(٣) أخرجه مسلم: ٤/ ٢١٧٤.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يقول، سمعت رسول الله ﷺ يقول: " يخلف قوم من بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة، واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً، ثم يكون خلفٌ يقرؤون القرآن لا يعدوا تراقيهم، ويقرأ القرآن ثلاثة مؤمن، ومنافق، وفاجر،قال بشير فقلت للوليد ما هؤلاء الثلاثة قال المنافق كافر، والفاجر يأكل به، والمؤمن يؤمن به " (١).

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات، ومن أشفق من النار لها عن الشهوات، ومن ترقب الموت لها عن اللذات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب " (٢).

ثانيا: بعض المسائل التي تتعلق بالدعوة والتحديات المعاصرة:

المسألة الأولى: الإلحاد:

وهو أكبر ضربة تُوجَّه ضد شبابنا ونَشْئنا وجيلنا وقلوبنا وبيوتنا.. الإلحاد ومركبه الأدب، وقد ركب قبل أربعين سنة أو أقل منها على مركب الاقتصاد، والإلحاد مذهب فلسفي يقوم على إنكار وجود الله سبحانه وتعالى، ويذهب إلى أن الكون بلا خالق، ويعد أتباع العقلانية هم المؤسسون الحقيقيين للإلحاد الذي ينكر الحياة الآخرة، ويرى أن المادة أزلية أبدية، وأنه لا يوجد شيء اسمه معجزات الأنبياء، فذلك مما لا يقبله العلم في زعم الملحدين، الذين لا يعترفون أيضاً بأية مفاهيم أخلاقية، ولا بقيم الحق والعدل، ولا بفكرة الروح، ولذا فإن التاريخ عند الملحدين هو صورة للجرائم والحماقات وخيبة الأمل وقصته ولا تعني شيئاً، والإنسان مجرد مادة تطبق عليه كافة القوانين الطبيعية، وكل ذلك مما ينبغي أن يحذره الشاب المسلم عندما يطالع أفكار هذا المذهب الخبيث (٣).

---

(١) أخرجه مسلم: ١/ ١١٧.

(٢) مسند الشهاب: ٢٢٦/١.

(٣) الملل والنحل، للشهرستاني (١٤٠٠هـ– ١٩٨٠م)، بتحقيق محمد سيد كيلاني، (بدون).

المسألة الثانية: الشهوات:

قال الله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾(١).

وقال عمر ﵁: [اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينته لنا اللهم إني أسألك أن أنفقه في حقه](٢).

المسألة الثالثة: الخلاف:

زرع الخلاف في الصفوف بتهييج مواطن النزاع وتضخيم مواطن البَون بين المسلمين على غير طائل إلا نتيجة الفُرقة والتشتت والتمزق والتشذم، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾(٣).

وقال سبحانه: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(٤).

المسألة الرابعة: الإساءة للدين:

وصم الدين بالتطرف، وقد أسست ذلك هيئة الإذاعة البريطانية وبثته على العالم، ووكالات أنباء متطرفة، وليس المسلمون هم المتطرفون، بل من يزعم أو يرمي أو يتهم الإسلام، أو يسيء إليه بذلك هو المتطرف بحق، وقد بين الله تعالى في

(١) سورة آل عمران، آية: ١٤.

(٢) أخرجه البخاري: ٥/ ٢٣٦٥.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٤٦.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

كتابه بأن دين الإسلام هو الدين الذي ارتضاه لعباده، بقوله جل وعلا: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ..الآية ﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(٢).

المسألة الخامسة: استغلال المرأة المسلمة:

المؤامرة على المرأة، فإننا كلما طُعنا أتت الطعنة الكبيرة من جانب المرأة، فالمرأة المسلمة مستهدفة في مجتمعاتنا الإسلامية ومن قبل التيارات الهدامة، وهذه التيارات تحمل قيماً ليست فقط تتناقض مع قيمنا الإسلامية، إنما تناهضها، وتخطط لإزاحتها لتحل محلها قيماً غربية علينا، بعيدة تماماً عن متطلبات ديننا، وتركز التيارات على المرأة المسلمة لإدراك القائمين عليها بأهمية دورها داخل الأسرة والبيت والمجتمع والأمة، فهي الأساس المتين لاستقرار الأسرة وصاحبة الدور الأكبر في تنشئة الأولاد التنشئة الإسلامية الصحيحة التي تساعد في بناء الأمة والتمكين لها.

المسألة السادسة: رمي المتدينين بالتخلف:

تعليل تخلف المسلمين بتمسكهم بالدين، وكأننا لم نصنع سيارة ولا صاروخاً إلا لأننا ربينا لحانا وقصَّرنا ثيابنا، وكأن الإنسان إذا حلق لحيته وطوَّل ثوبه وتفرنج وأصبح منسلخاً من دينه، ومن هدي كتاب الله جل وعلا، وسنة نبيه ﷺ سوف يستطيع أن يصنع طائرة وصاروخاً، وكأن هذا المسلم بليد وغبي، والسبب عند هؤلاء هو تدينه واستقامته على شرع الله جل وعلا – واتباعه لهدي نبيه ﷺ، وهؤلاء دعاة الوثنية الإلحادية في ساحتنا.

(١) سورة آل عمران، آية: ١٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٨٥.

الخاتمة

وفي الختام يتبين ويتضح لنا جلياً بعض ما تلقاه الدعوة اليوم من تحديات ومواجهات معاصرة تُلقي بظلالها على الحد من انتشارها، والحيلولة بينها وبين وصولها إلى أهلها الذين هم في أمس الحاجة لها لتخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهداية، وتأخذ بأيديهم إلى كل خير، وتسعدهم في دنياهم وأخراهم، ولعل ما ألقينا عليه الضوء وهو جهد المقل يكون مشاركة للباحثين في هذا التخصص، ويليه من الأعمال التي تكمله ويؤدي دوره، والثمرة المرجوة لخدمة ديننا، والنهوض بعقيدتنا، والذب والدفاع عن منهجنا القويم، وشرعتنا السمحة.

وما أحوج الأمة ودعاتها ومصلحيها في الوقوف في وجه هذه التحديات، ومواجهة كافة الاعتداءات التي تعتدي وتتربص بالدعوة وتحول بينها وبين من هم بأمس الحاجة لها، وتنال منها ومن أهلها والقائمين عليها، ومواجهة الهجمة الشرسة على ديننا ورموزنا، والوقوف ضد من يسمنا ويرجمنا بالزور والبهتان، وتوضيح صورة الإسلام النقية الطاهرة المضيئة، ولن يكون ذلك إلا بالوقوف على مواطن الخلل في الأمة، والوصول لأصل الداء، وعلاج ذلك بالعلاج الناجع، ولا يكون ذل إلا برد الشبه والافتراءات التي تحاك بنا وبأمتنا، وبالدعوة والدعاة، بالحجج الدامغة، والبراهين الساطعة، والدلائل العقلية، والشواهد المادية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين– وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

ثبت المصادر والمراجع

١- أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي، لصابر طعمة، سنة النشر: 1984الطبعة رقم:١، الناشر: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.

٢- تفسير الطبري، المسمى" جامع البيان في تأويل القرآن"لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط: ١،١٤١٢هـ– ١٩٩٢م.

٣- الدعوة في عهدها المكي: للدكتور رؤف شلبي، (بدون).

٤- الدعوة الإسلامية، لأحمد غلوش، (بدون).

٥- الدعوة الإسلامية دعوة عالمية للشيخ محمد الراوي، الرياض، مكتبة العبيكان، ط:١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٦- سنن الترمذي:لأبي عيسى بن سورة، ت٢٧٩ هـ، تحقيق أحمد بن محمد شاكر، ط:٢، ١٣٩٨هـ، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

٧- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الآزدي، دار الفكر، بيروت، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

٨- سنن ابن ماجة، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٩- سنن النسائي، لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، بيروت، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب.

١٠- شرح الإمام النووي على صحيح مسلم ليحيى بن شرف النووي، ت ٦٧٦هـ، الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

١١- صحيح البخاري:لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت ٢٥٦هـ، مطبعة دار ابن كثير، اليمامة، مراجعة د: مصطفى ديب البغا، سنة١٤٠٧هـ.

١٢- صحيح مسلم: لأبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت ٢٦١هـ، مراجعة محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة (بدون)١٣٧٤هـ.

١٣- الطرق الحكمية لابن القيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر الزرعي، مكتبة دار البيان، الطبعة (بدون).

١٤- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الخطيب، قصي الخطيب، دار المعرفة، بيروت، سنة النشر ١٣٧٩هـ.

١٥- قالوا عن الإسلام ، للدكتور. عماد الدين خليل، (بدون).

١٦- لسان العرب لابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري المتوفى سنة ٧١١هـ، دار الصادر، بيروت، ط:١، (بدون).

١٧- معجم ما استعجم، لعبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبد الله، دار النشر عالم الكتب، بيروت، ط: ٣٣، سنة١٤٠٣هـ، تحقيق: مصطفى السقا.

١٨- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي الحنبلي أبو العباس تقي الدين بن تيمة، ٦٦١، ت: ٧٢٨هـ، (بدون).

١٩- مسند الشهاب لأبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي، ت٤٥٤هـ، مراجعة: حمدي السلفي، طبعة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٢٠- المستدرك على الصحيحين، الحاكم الإمام الحافظ ، أبو عبد الله الحاكم النيسابورى ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان .

٢١- مسند الإمام أحمد، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، دار النشر: مؤسسة قرطبة ، مصر.

٢٢- مسند أبي داود الطيالسي، لسليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي الناش: دار المعرفة - بيروت.

٢٣- معجم ما استعجم، لعبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبد الله، دار النشر عالم الكتب، بيروت، ط: ٣٣، سنة١٤٠٣هـ، تحقيق: مصطفى السقا.

٢٤- الملل والنحل، للشهرستاني ط.(١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م). بتحقيق محمد سيد كيلاني، (بدون).

٢٥- المصباح المنير: لأحمد بن محمد الفيومي، ط:١، ١٤١٤هـ-١٤٩٤م، دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٦- هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، للشيخ على محفوظ، ط:١، ١٣٩٩هـ، دار الاعتصام، مصر.

٢٧- واقعنا المعاصر لمحمد قطب، (بدون).

المواقع والدوريات

- موقع [التبشير الكنسي بالأمس- شبكة المشكاة الإسلامية- موقع على الشبكة العنكبوتية].

- موقع منتديات الدرر.

- موقع صيد الفوائد، الأمة والتحديات المعاصرة في موروثها وأخلاقها خطبة عيد الفطر المبارك - ١٤٢٢هـ، للدكتور: خالد بن عبد الرحمن الشايع.

- موقع المكتبة الإسلامية، إسلام ويب، وملتقيات فضاء.

- موقع كلمات، أسئلة أجاب عليها الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٢٣٨٢

فهرس المحتويات